

من أين نبدأ

لقد ساءت نفسى قبل أن أرسم. خطوط الكتاب: من أين نبدأ تاريخ الشعر الوطنى؟ أنبدأه من يوم أن قرأنا قصائد سوفى وحافظ وسمعناها ووعيناها وكان لها صداها فى أحياء مساعرا الوطنية؟ إننا إذ نحدد هذه البداية نكون قد اجتزأنا تاريخ الشعر الوطنى، وأغفلنا مرحلة سبقت سوفى وحافظ، وهذا ما لا يقره الحق والإنصاف ولا يرضاه تنوفى وحافظ، على علو كعبهما وبلوغهما الذروة بين سعراء الوطنية.

فلنبحث إذن عن بداية سابقة على سوقى وحافظ.

إننى عندما أرخت مصطفى كامل بحثت فى بداية الحركة الوطنية الحديثة، وتساءلت هل تبدأ هذه الحركة بظهور مصطفى كامل فيكون تأريخه تاريخاً لها، أم أن لها بداية سبقت ظهوره؟ وعلى أننى تلميذ لمصطفى كامل وكان تتلمذى له هو من البواعث على إخراجى لتاريخه، كما نوهت إلى ذلك فى مقدمة كتابى عنه، فإنى قد وجدت من الإنصاف أن أبحث عن الأدوار التى تقدمت عصر مصطفى كامل، لأف فى عند حدّ يصح اعتباره مبدأ الحركة القومية الحديثة، وانتهى إلى البحث إلى أن بدايتها - فى تاريخ مصر الحديث - ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر، ومن ثم تطورت الفكرة عندى من تأريخ لمصطفى كامل إلى تأريخ للحركة القومية، وعلى هذا الأساس أخرجت سلسلة هذا التاريخ.

وأرانى فى تأريخ الشعر الوطنى أميل إلى سلوك مثل هذا المنهج، فرجعت فى بدايته إلى الماضى، ووجدت أن روح الوطنية - بمعناها الحديث - قد بدأت تدخل الشعر المصرى، وتبعث فيه من حياتها وهائها، وتضفى عليه من جمالها، وجلالها منذ أوائل القرن التاسع عشر، وأول رائد لهذه النهضة هو رفاعة رافع الطهطاوى، فالى هذا العهد يجب أن نرجع ظهور الشعر الوطنى فى مصر، وهكذا يبدو التقارب بين ظهور الحركة الوطنية وظهور الشعر الوطنى فى تاريخنا الحديث.

فلنبدأ إذن برفاعة رافع الطهطاوى ولندرس تطور الشعر الوطنى من بعده إلى وقتنا الحاضر. ويطيب لى فى صدد التنويه بسعراء الوطنية، أن أعتذر عما فاتنى من تأريخهم، وأعوزنى الحديث عنهم، فأنى أفصد من ساعر الوطنية من تغلب عليه النزعة الوطنية فى شعره، فإذا كان فاتنى أن أتحدث عن بعض الشعراء الممتازين، فالأمر لا يعدو أن يكون رأياً تقديرياً، وأن يكون شعرهم الوطنى قد بدا لى مغموراً فى بحر شعرهم الفياض، وهذا لا يغض بداهة من